فداؤك ما نطعمك .

ما نسقيك فقال طالت الضجعة ودبرت الحراقيف وأصبحت نضوا لا أطعم طعاما ولا أسيغ شرابا منذ كذا فذكر أياما وما يسرنى أنى نقصت من هذا قلامة ظفر ولما قدم سعد بن أبى وقاص إلى مكة وقد كان كف بصره جاءه الناس يهرعون إليه كل واحد يسأله أن يدعو له فيدعو لهذا ولهذا وكان مجاب الدعوة قاله عبد ا بن السائب فأتيته وأنا غلام فتعرفت إليه فعرفنى وقال أنت قارئ أهل مكة قلت نعم فذكر قصة قال في آخرها فقلت له يا عم أنت تدعو للناس فلو دعوت لنفسك فرد ا عليك بصرك فتبسم وقال يا بنى قضاء ا سبحانه عندى أحسن من بصرى وضاع لبعض الصوفية ولد صغير ثلاثة أيام لم يعرف له خبر فقيل له لو سألت ا تعالى أن يرده عليك فقال اعتراضي عليه فيما قضى أشد على من ذهاب ولدى .

وعن بعض العباد أنه قال إني أذنبت ذنبا عظيما فأنا أبكى عليه منذ ستين سنة وكان قد اجتهد في العبادة لأجل التوبة من الذنب فقيل له وما هو قال قلت مرة لشيء كان ليته لم يكن .

وقال بعض السلف لو قرض جسمى بالمقاريض لكان أحب إلى من أن أقول لشيء قضاه ا تعالى سبحانه ليته لم يقضه .

وقيل لعبد الواحد بن زيد ههنا رجل قد تعبد خمسين سنة فقصده فقال له يا حبيبى أخبرنى عنك هل قنعت به قال لا قال أنست به قال لا قال فهل رضيت عنه قال لا قال فإنما مزيدك منه الصوم والصلاة قال نعم قال لولا أنى أستحيى منك لأخبرتك بأن معاملتك خمسين سنة مدخولة ومعناه أنك لم يفتح لك باب القلب فتترقى إلى درجات القرب بأعمال القلب وإنما أنت تعد في طبقات أصحاب اليمين لأن مزيدك منه في أعمال الجوارح التى هى مزيد أهل العموم .

ودخل جماعة من الناس على الشبلى C تعالى في مارستان قد حبس فيه وقد جمع بين يديه حجارة فقال من أنتم فقالوا محبوك فأقبل عليهم يرميهم بالحجارة فتهاربوا فقال ما بالكم ادعيتم محبتى إن صدقتم فاصبروا على بلائى .

وللشبلى C تعالى .

إن المحبة للرحمن أسكرنى ... وهل رأيت محبا غير سكران .

وقال بعض عباد أهل الشام كلكم يلقى ا D مصدقا ولعله قد كذبه وذلك أن أحدكم لو كان له أصبع من ذهب ظل يشير بها ولو كان بها شلل ظل يواريها يعنى بذلك أن الذهب مذموم عند ا والناس يتفاخرون به والبلاء زينة أهل الآخرة وهم يستنكفون منه .

وقيل إنه وقع الحريق في السوق فقيل للسري احترق السوق وما احترق دكانك فقال الحمد ثم قال كيف قلت الحمد على سلامتى دون المسلمين فتاب من التجارة وترك الحانوت بقية عمره توبة واستغفارا من قوله الحمد .

فإذا تأملت هذه الحكايات عرفت قطعا أن الرضا بما يخالف الهوى ليس مستحيلا بل هو مقام عظيم من مقامات أهل الدين .

ومهما كان ذلك ممكنا في حب الخلق وحظوظهم كان ممكنا في حق حب ا تعالى وحظوظ الآخرة قطعا .

وإمكانه من وجهين أحدهما الرضا بالألم لما يتوقع من الثواب الموجود كالرضا بالفصد والحجامة وشرب الدواء انتظارا للشفاء .

والثاني الرضا به لا لحظ وراءه بل لكونه مراد المحبوب ورضا له فقد يغلب الحب بحيث ينغمر مراد المحب في مراد المحبوب فيكون ألذ الأشياء عنده سرور قلب محبوبه ورضاه ونفوذ إرادته ولو في هلاك روحه كما قيل .

فما لجرح إذا أرضاكم ألم ... .

وهذا ممكن مع الإحساس بالألم وقد يستولى الحب بحيث يدهش عن إدراك الألم فالقياس والتجربة والمشاهدة